

- ٢٩ -

هكذا يكون في معظمه وقد يعيش بعضه ، وقد يخلد قليل منه لجوانب الجمال والابداع فيه ، لكنه مع ذلك لا يعبر كثيرا عن واقع شائك ومحتدم ، عن دخان معارك ومثار قضايا وصراع فكر ٠٠ بل انه ليطغى فيه الخيال والأسلوب على الواقع ومخاطبة العقل ، وما كان صاحبنا كذلك ٠٠

أردت بهذه المقدمة الطويلة أن أقول أن الجاحظ كان نقاج عصره ، ادبا وصحافة وانه كما يكون الأديب صورة تلك العصر ، والصحفي محصولتها ، فقد كان « رجلنا » أيضا وهو من هذه الزاوية يعتبر ادبيا وصحفيا معا ، بكل ما أكد أنه نقاج عصره ٠٠ ولكن كيف ؟

● أما العصر المؤثر والمتأثر فهو « العصر العباسي » فإذا شئنا أن نحدد على طريقة مؤرخی الأدب ، فهو « العصر العباسي الأول » . ذلك الذي يبدأ منذ قيام الدولة العباسية ، بعد الحروب المستمرة بين الجماعات الشيعية والأمويين ، تلك التي انتهت بانتصار هذه الجماعات ، وفرار عبد الرحمن الداخل « صقر قريش » الى الأندلس ليؤسس هناك دولة أموية أندلسية جديدة استمرت قائمة نحو ثلاثة قرون ٠٠ فإذا شئنا أن نكون أكثر تحديدا لقلنا أن الرجل قد ولد عام ٧٧٥ م - ١٥٩ هـ ٠٠ أى بعد قيام هذه الدولة بحوالى ١٧ عاما فقط بمدينة البصرة ٠٠ تلك التي كانت « نافذة عربية » على العالم الشرقى المعروف فى ذلك الوقت ، خاصة بلاد فارس والهند ، كما أنها التي تقع على طريق الكوفة ، التي لم تكن نار ثورتها قد خمدت تماما بعد بل كان وميضها يتأجج أحيانا من « خلل الرماد » ، فترفع بذلك راية العصيان ، وكما حدث أكثر من مرة ، مما دعا « أبو جعفر المنصور » الى ترك « الهاشمية » عاصمة ابي العباس السفاح ، واتخاذ قرية صغيرة تقع على الضفة الغربية لنجلة ، لتكون عاصمة له ، وحاضرة لدار الخلافة هي « بغداد » ٠٠ تلك التي سرعان ما أصبحت ولقرون طويلة ، أهم مدينة فى العالم الإسلامى .

وبينما كان « صاحبنا » يخطو خطواته الأولى على مدارج الصبا ، منتقلا بين حدائق البصرة ، وقنواتها تلك التي تشبه قنوات « البندقية » ، وبينما كان يعدو من بستان الى بستان ، ومن حى الى حى ، وعتها بعد ذلك ذاكرته وصورتها بأكثر من طريقة ٠٠ كانت الأحداث حوله أكثر عدوا ، وأكثر سرعة ، كانت معالم حضارة جديدة كاملة ، قد بدأت فى الوضوح ، كانت ملامح عصر جديد ، مخالف ، خصب ، نام ، متطور مؤثر ٠٠ قد أخذت